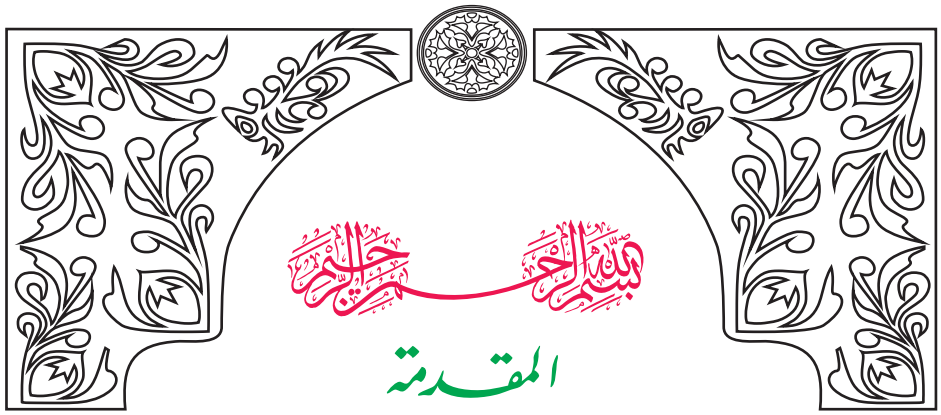


الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه أئمة الهدى المرضين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فإن السُّنَّة المطهرة كانت وما زالت مجالاً خصباً للبحث والدراسة، وذلك لأهميتها التي لا تخفى على من له أدنى إلمام بالأمور الشرعية، فهي مصدر أساسي من مصادر التشريع، وقد تكفَّل الله تعالى بحفظها إجمالاً بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقد قال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. وسخر الله تعالى لحفظها أئمة متقنين ابتكروا علماً نقدياً جديداً له أصوله وقواعده التي لم يُسبَقوا إليها، فكان هذا العلم خصيصة لهذه الأمة تفخر به وتباهي على مر العصور والدهور.

**سبب اختيار البحث:**

حظي الحديث الشريف وعلومه باهتمام قلّ نظيره من قِبَل علماء الأمة الإسلامية، وقد تجلى ذلك واضحاً في كثرة المصنفات الحديثية، سواء في علم الرواية أم الدراية، وكان من هذه المصنفات ذائعة الصيت كتاب

«الجامع في شعب الإيمان» للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، الذي حوى ما يقارب اثني عشر ألف حديث بأسانيدها، وكان لهذا الكتاب وما يزال أهمية كبرى بين المشتغلين بعلم الحديث خاصة والمشتغلين بالعلوم الشرعية عامة.

وقد لفت نظري في هذا الكتاب بالإضافة إلى العدد الكبير من الأحاديث المسندة التي حواها- طريقة تصنيفه، وتعليلات صاحبه النقدية للأحاديث، ثم ازداد اهتمامي به بعد أن تلمست فيه الفكر الإبداعي النقدي الواضح للإمام البيهقي، حتى إن عدداً من الأحاديث لا نكاد نجد لها نقداً من العلماء بتصحيح أو تضعيف أو إعلال أو غيره إلا عند الإمام البيهقي، ولا نجد نقده هذا إلا في كتابه «الشُّعَب».

كما وجدت في قول الإمام البيهقي: (وعادتي في كتبي المصنفة في الأصول والفروع الاقتصار من الأخبار على ما يصح منها دون ما لا يصح، أو التمييز بين ما يصح منها وما لا يصح، ليكون الناظر فيها من أهل السنة على بصيرة مما يقع الاعتماد عليه..... ومن وقف على تمييزي في كتبي بين صحيح الأخبار وسقيمها وساعده التوفيق، علم صدقي فيما ذكرتُه، ومن لم يُنعم النظر في ذلك ولم يساعده التوفيق، فلا يغني شرحي ذلك وإن أكثرت، ولا إيضاحي له وإن بلّغت)، وجدتُ فيه حافزاً آخر للإقدام على هذا البحث.

هذا بالإضافة إلى ثناء العلماء على كتاب «الشعب»، حتى أقسم الإمام تاج الدين السبكي بأنه كتاب ليس له نظير[١].

والذي زاد من اهتمامي بالكتاب معرفتي بمكانة صاحبه العلمية عامة

(١) طبقات الشافعية ٤/ ٩.

والحديثية خاصة، وكونه من أهل الصنعة الذين قيّضهم الله تعالى لحفظ سنن رسوله ﷺ، فوجدت في كشف الصناعة الحديثية فيه وتحليلها وفق منهج علمي ناقد بحثاً جديراً بالاهتمام والدراسة.

وقد هِبْتُ خوض لُجج هذا البحر، خصوصاً مع سعة الكتاب وضخامته، ووجود دراسة سابقة عن الإمام البيهقي وصنعته الحديثية في كتابه «السنن الكبرى»[1]، لكني بعد التوكل على الله تعالى واستخارته، وتشجيع أستاذي المشرف عليّ منذ بداياتي الحديثية الأولى الأستاذ الدكتور نور الدين عتر حفظه الله تعالى وأمتعنا به، عزمت على هذا البحث، راجية من الله تعالى أن يحمل في طياته الإبداع والفائدة، وفق الأسس والقواعد العلمية المعتد بها. واخترت أن يكون عنوان هذا البحث: (**الصناعة الحديثية عند الإمام البيهقي في كتابه «شعب الإيمان»**)، وهو فيما أعلم بحث لم يتناوله أحد بالدراسة والبحث والتحليل فيما سبق.

**أهمية البحث:**

تتجلى أهمية البحث بما سبق ذكره في سبب اختياره، وهو كونه يتناول بالدراسة والتحليل كتاباً مهماً من كتب الرواية أثنى عليه الأئمة الحفاظ، صُنِّف في موضوع حيوي خطير هو «شعب الإيمان»، وتميّز بالكشف عن أحوال الرواة والروايات، حتى أصبح لا غنى لمشتغِلٍ بالحديث عنه، هذا بالإضافة إلى كون صاحبه من أئمة المحدثين المَرضِيين، الذين برعوا في علم الحديث رواية ودراية، وتركوا بصماتهم الواضحة فيه.

كما تبرز أهمية البحث من خلال **هدفه**، إذ إن موضوع البحث القائم على تتبع مواطن الصناعة الحديثية واستقرائها في كتاب «الشُّعب»،

(١) هو كتاب «الصناعة الحديثية في السنن الكبرى» لـ د. نجم خلف.

ودراستها دراسة نقدية تحليلية من خلال قواعد هذا العلم وأصوله، يكشف عن منهج الإمام البيهقي وأصوله واصطلاحاته الحديثية وكيفية استعماله لأدوات صنعته، ويبيّن مدى إتقانه وتضلعه في علم الحديث وتَمَكُّنه من هذه الصنعة، ومن ثَمَّ إبراز قيمتها ومكانتها الحديثية.

وبعبارة أخرى فإن هذا البحث:

١. يُبرز مكانة كتاب «الشعب» ومكانة صاحبه من الناحية الحديثية.

٢. يُقدّم أمثلة تطبيقية جديدة على أغلب أنواع علوم الحديث، غيرِ الأمثلة التقليدية المتكررة في كتب أصول الحديث.

٣. يعرض مذهب الإمام البيهقي في أنواع علوم الحديث المختلفة، من حيث التعريف أو الحكم أو العمل، ويقارنها مع المذاهب الأخرى الشائعة للترجيح بينها في حال الاختلاف.

٤. يُقدّم تعريفات جديدة لبعض المصطلحات الحديثية.

وفي هذا البحث من الإضافة إلى حقل المعرفة الحديثية ما يساعد الباحثين على الاقتداء والتعلم من هذه الصنعة، لتنمية ملكة البحث العلمي الدقيق، وفتح آفاق الفكر النقدي الإبداعي القائم على الأصول العلمية السليمة.

**خطة البحث:**

يقوم نظام البحث على قضية واحدة وهي كشف مواطن الصناعة الحديثية للإمام البيهقي في كتابه «الشعب»، وإبراز مهارته ودقته فيها.

لذا فقد اقتضى البحث أولاً دراسة حياة الإمام البيهقي وعصره، ومن ثَمّ التعريف بكتب شعب الإيمان عامة، وكتاب البيهقي من بينها خاصة.

ولما كانت مواطن الصناعة الحديثية في كتاب «الشعب» متعددة،

ارتأيت تقسيمها وفق ما جاء في كتاب «منهج النقد» للدكتور نور الدين عتر، إلى صنعة متعلقة بعلوم السند وصنعة متعلقة بعلوم المتن وصنعة متعلقة بالعلوم المشتركة بين السند والمتن، لكونه تقسيماً منطقياً دقيقاً تميز عمله فيه بالدقة والابتكار. لذا كان لا بد أولاً من البحث في الصنعة الحديثية الواقعة في كتاب «الشعب» التي تتعلق بعلوم السند، ومن ثمّ التي تتعلق بعلوم المتن، ومن ثَمّ التي تتعلق بالعلوم المشتركة بين السند والمتن.

ولما كان المقصد من هذه العلوم جميعاً الوصول إلى الحكم على الحديث بالقبول أو الرد، كان لا بد بعد ذلك من تجلية صنعة الإمام البيهقي في حكمه على أحاديث كتاب «الشعب» بالصحة أو الضعف.

وهكذا قسمت البحث بعد **المقدمة** إلى تمهيد وخمسة أبواب وخاتمة وألحقته بالفهارس:

**تمهيد: معنى الصناعة الحديثية.**

**الباب الأول: الإمام البيهقي وكتابه «شعب الإيمان».**

**الفصل الأول**: عصر الإمام البيهقي وسيرته.

المبحث الأول: عصر الإمام البيهقي.

المبحث الثاني: سيرته الشخصية.

المبحث الثالث: سيرته العلمية.

**الفصل الثاني**: التعريف بكتب شعب الإيمان وموقع كتاب البيهقي منها.

المبحث الأول: التعريف بشعب الإيمان وأهميتها.

المبحث الثاني: التعريف بالكتب المُصَنَّفة في شعب الإيمان.

المبحث الثالث: التعريف بكتاب «شعب الإيمان» للبيهقي.

**الباب الثاني: الصناعة الحديثية المتعلقة بالأسانيد في كتاب «شعب الإيمان».**

**الفصل الأول:** عرض الأسانيد وفوائدها الحديثية في كتاب «شعب الإيمان».

المبحث الأول: عرض الأسانيد.

المبحث الثاني: عرض الفوائد الإسنادية.

**الفصل الثاني:** علوم الرواة في كتاب «شعب الإيمان».

المبحث الأول: العلوم المبيِّنة لشخص الراوي.

المبحث الثاني: علم الجرح والتعديل.

**الفصل الثالث:** علوم السند من حيث الاتصال في كتاب «شعب الإيمان».

المبحث الأول: طرق تحمل الحديث.

المبحث الثاني: الحديث المتصل.

**الفصل الرابع:** علوم السند من حيث الانقطاع في كتاب «شعب الإيمان».

المبحث الأول: الحديث المنقطع.

المبحث الثاني: الحديث المرسل.

**الفصل الخامس:** وجوه ترجيح الإسناد في كتاب «شعب الإيمان».

المبحث الأول: وجوه الترجيح باعتبار السند أو المتن.

المبحث الثاني: وجوه الترجيح باعتبار أمر خارجي.

**الباب الثالث: الصناعة الحديثية المتعلقة بالمتون في كتاب «شعب الإيمان».**

**الفصل الأول:** علوم المتن من حيث قائله في كتاب «شعَب الإيمان».

المبحث الأول: الحديث المرفوع.

المبحث الثاني: الحديث الموقوف.

المبحث الثالث: الحديث المقطوع.

**الفصل الثاني**: العلوم المبيِّنَة للمتن في كتاب «شعَب الإيمان».

المبحث الأول: غريب الحديث.

المبحث الثاني: مختلف الحديث ومشكله.

**الفصل الثالث**: وجوه ترجيح المتن في كتاب «شعَب الإيمان».

المبحث الأول: وجوه الترجيح باعتبار السند أو المتن.

المبحث الثاني: وجوه الترجيح باعتبار أمر خارجي.

**الباب الرابع: الصناعة الحديثية المتعلقة بالعلوم المشتركة بين السند والمتن في كتاب «شعب الإيمان»**.

**الفصل الأول**: تفرد الحديث أو تعدده مع الاتفاق في كتاب «شعب الإيمان».

المبحث التمهيدي: الاعتبار

المبحث الأول: التفرد.

المبحث الثاني: المتابعات والشواهد.

**الفصل الثاني**: تعدد الحديث مع الاختلاف في كتاب «شعب الإيمان».

المبحث الأول: زيادة الثقة.

المبحث الثاني: الحديث المحفوظ.

المبحث الثالث: الحديث المنكر.

المبحث الرابع: الحديث المدرج.

المبحث الخامس: الحديث المقلوب.

المبحث السادس: الحديث المُصَحَّف.

**الباب الخامس: الصناعة الحديثية المتعلقة بالحكم على أحاديث كتاب «شعب الإيمان».**

**مقدمة الباب.**

**الفصل الأول**: الصناعة الحديثية في الحكم على أحاديث كتاب «شعَب الإيمان» بالصحة.

المبحث الأول: الحكم بالصحة على الحديث مطلقاً.

المبحث الثاني: الحكم بالصحة على السند.

**الفصل الثاني**: الصناعة الحديثية في الحكم على أحاديث كتاب «شعَب الإيمان» بالأضعف.

المبحث الأول: الحكم بالضعف على الحديث مطلقاً.

المبحث الثاني: الحكم بالضعف على السند أو المتن.

**الخاتمة: نتائج البحث وتوصياته.**

**الفهارس الفنية.**

***

**منهج البحث:**

يقوم منهج البحث **إجمالاً** على ثلاثة أمور هي الاستقراء ثم المقارنة ثم التحليل والنتيجة.

والمراد **بالاستقراء** الاستقراء التام لمواطن الصناعة الحديثية الواقعة في كتاب الشعب، ومن ثَمَّ تصنيفها حسب الموضوعات والأنواع، وهذا لا يتأتى إلا بالقراءة الهادئة المُعَمَّقة للكتاب، وهو ما قمت به أولاً قبل كتابة أي كلمة في البحث.

أما **المقارنة** فهي تأتي بعد الاستقراء والتصنيف، وهي على ثلاثة

مستويات: مقارنة مفردات النوع الواحد أو الموضوع الواحد من كتاب الشُّعب بعضها مع بعض بعد دراستها دراسة نقد وتمحيص، ومقارنة نتيجة الاستقراء السابق مع ما حوته كتب البيهقي الأخرى من موضوعات ذات صلة بهذا النوع، ومقارنة هذه النتيجة بجهود العلماء السابقين ومذاهبهم في هذا النوع.

ومن ثَمّ كان **التحليل** للخروج بالنتيجة النهائية مع مراعاة القرائن والدلائل المتعلقة بكل مسألة.

هذا هو المنهج الإجمالي الذي اتبعته في البحث، وإن كنت لم أتقيد بكتابة مفردات الاستقراء أو المقارنة كافة، إنما أكتفي ببعض الشواهد التي تحقق الغاية وتخدم البحث في صلب الأطروحة، وأشرت في الحواشي إلى بعض هذه المفردات لمن أراد التوسع.

وقد اقتصرت الأطروحة على أنواع علوم الحديث التي كانت للإمام البيهقي فيها صنعة واضحة، سواء أصرّح باسمها كالحديث المحفوظ والمنكر والموقوف والمسند..... وغيرها، أو ظهرت واضحة فيه بالأمثلة وإن لم يصرِّح باسمها كالمقطوع والمدرج وزيادة الثقة ومختلف الحديث..... وغيرها. أما باقي الأنواع فلم أتطرق لها لعدم تصريح الإمام البيهقي بها، أو لقلة أمثلتها بحيث يصعب دراستها وإطلاق حكم عام عليها، كالحديث المضطرب والمدلس والمعنعن ومرسل الصحابي.

أما **المنهج التفصيلي** للبحث فهو كما يأتي:

١. تخريج جميع الأحاديث الواردة في البحث من الصحيحين أولاً إن وُجد فيهما، وإلا فمن باقي الكتب الستة إن وجد فيها، وإلا فمن مظان الحديث في باقي كتب الرواية، وفي حال السكوت عن الحديث وعزوه للشعب فقط يكون قد انفرد به. وقد يَلْزَم تخريج الحديث من مصادره كافة

وإن وجد في الصحيحين أو الكتب الستة في حال البحث عن علة الحديث أو ترجيح إحدى رواياته كما وقع في تخريج حديث شعب الإيمان ـ.

وقد اكتفيت في تخريج الأحاديث بذكر اسم الباب والكتاب ورقم الحديث في الكتب الستة نظراً لكثرة طبعاتها، وبالجزء والصفحة ورقم الحديث إن وجد في الكتب الأخرى.

٢. الرجوع إلى كتب الرجال المعتمدة في الحكم على الرواة.

٣. الرجوع إلى مصادر البيهقي الأصلية التي استقى منها مادته إن وجدت.

٤. الحرص على تأصيل كل مسألة من المسائل العلمية الحديثية أو الأصولية أو اللغوية أو غيرها بالرجوع إلى المصنَّفَات المختصة بذلك.

٥. استعمال بعض المختصرات الخاصة بالبحث، بالإضافة إلى المختصرات المعروفة المستعملة عند المحدثين كالبخاري لصحيحه الجامع، والطبراني للمعجم الكبير، وابن عدي للكامل..... وغيرها، وهذه المختصرات الخاصة هي:

**الشعب**: لكتاب شعب الإيمان للبيهقي، طبعة دار الكتب العلمية.

**الجامع**: لكتاب الجامع في شعب الإيمان للبيهقي، طبعة دار الرشد. وهو الكتاب السابق نفسه، لكنه طبعة جديدة منقحة استَدرَكَتْ بعض الأخطاء والتصحيفات التي وقعت فيها الطبعة الأولى.

وقد وقع الاعتماد في البحث على الطبعة الأولى، ولجأت إلى الطبعة الثانية في حال وقوع التصحيف أو الخطأ.

**ص**: للدلالة على رقم الصفحة.

**ح**: للدلالة على رقم الحديث.

**مصادر البحث:**

تنوعت المصادر المعتمدة في البحث بتنوع مادة البحث، إلا أن أهمها وأكثرها تكراراً على الإطلاق كتاب «شعب الإيمان» للبيهقي، إذ منه تستقى مادة البحث الأولى وإليه تعود وفي فلكه تدور. ومن ثَمّ تأتي كتب البيهقي الأخرى، وأهمها كتاب المدخل ومقدمتا كتاب دلائل النبوة ومعرفة السنن والآثار.

واعتمد البحث كذلك في دراسة عصر الإمام البيهقي وحياته على كتب التاريخ والتراجم القريبة من عصره، كالمنتخب من السياق لابن عبد الغافر، وتبيين كذب المفتري لابن عساكر. ثم على كتب التراجم والتاريخ العامة كالكامل لابن الأثير، والطبقات الكبرى للسبكي، وسير أعلام النبلاء للذهبي، والبداية والنهاية لابن كثير، وكشف الظنون لحاجي خليفة، والرسالة المستطرفة للكتاني.

أما في باقي أبواب الرسالة فقد اعتمد البحث على كتب علوم الحديث لتأصيل المسائل الحديثية، ككتاب معرفة علوم الحديث للحاكم، والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، وعلوم الحديث لابن الصلاح، ونزهة النظر لابن حجر، وتدريب الراوي للسيوطي، وفتح المغيث للسخاوي.

كما اعتمد كذلك على جملة من كتب الرواية في تخريج الأحاديث كالكتب التسعة، ومصنفي عبد الرزاق وابن أبي شيبة، ومعاجم الطبراني، وغيرها.

وعلى جملة من كتب الرجال كالتاريخ الكبير للبخاري، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي، والثقات لابن حبان، وضعفاء النسائي

والعقيلي وابن الجوزي، وميزان الاعتدال للذهبي، ولسان الميزان وتهذيب التهذيب وتقريبه لابن حجر.

هذه بعض أهم المصادر التي قام البحث عليها، بالإضافة إلى العديد من المصادر والمراجع التي وضعت لها في نهاية البحث فهرساً خاصاً بها مع معلومات هذه المراجع كافة، فمن أحب التوسع عاد إليها.

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة سوى أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لكل من مدّ لي يد المساعدة لإنجاز هذا البحث، من أهل وأصدقاء وأساتذة.

كما أخص بالشكر فضيلة أستاذي ومشرفي الدكتور نور الدين عتر حفظه الله تعالى ونفعنا بعلمه، فإنه لم يبخل عليّ بوقته النفيس رغم كثرة أعبائه ومشاغله وأسفاره، وقد كان لملاحظاته القيمة وتوجيهاته الموفَّقَة الفضل الكبير في إخراج هذا البحث على ما هو عليه.

**وبعد**: فإني قد بذلت وسعي في إخراج هذا البحث، رغم الصعوبات التي واجهتني من ضخامة كتاب الشُّعَب، وضيق الوقت الذي أُلزمت به، فإن يكن الصواب حليفي، فمن توفيق الله تعالى ومِننه المتتابعة عليّ، فله الحمد والشكر أولاً وآخراً، وإن يكن سوى ذلك فمن نفسي وتقصيري، فالله أسأل أن يغفر لي ويلهمني الرشد والصواب، إنه أكرم مسؤول، وأعظم مأمول، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

د. منى عبد الحكيم العسة

* * *